(المحاضرة السابعة) / الثلاثاء (١٧ / ٣ / ٢٠٢٠)

أسلوب الملاحظة Observation Style:_

تعريف الملاحظة :

هي مراقبة مقصودة تستهدف رصد أي تفسيرات تحدث على موضوع الملاحظة سواء كانت ظاهرة طبيعية أو إنسانية .

كما يمكن أن تُعرف الملاحظة على أنها : إحدى أدوات جمع البيانات ، وتُستخدم في البحوث الميدانية لجمع البيانات التي لايمكن الحصول عليها عن طريق الدراسة النظرية أو المكتبية ، كما تستخدم في البيانات التي لايمكن جمعها عن طريق الإستمارة أو المقابلة أو الوثائق والسجلات الإدارية أو الإحصاءات الرسمية والتقارير أو التجريب .

وتُعتبر الملاحظة من الوسائل التي عرفها الإنسان واستخدمها في جمع بياناته ومعلوماته عن بيئته ومجتمعه منذ أقدم العصور ، وهو لايزال حتى الآن يستخدمها في حياته اليومية العادية وفي إدراك وفهم كثير من الظواهر الطبيعية والإجتماعية والنفسية التي توجد في بيئته ومجتمعه .

وهو كما يستخدمها في حياته العادية اليومية فإنه يستخدمها أيضاً في دراساته المقصودة ، وفي أبحاثه العلمية ، فهو كباحث يمكن أن يستخدمها في جمع البيانات والحقائق التي تمكنه من تحديد مشكلة بحثه ومعرفة عناصرها ، وتكوين فروضه ، وتحقيق هذه الفروض ، والتأكد من صحتها . فالباحث يستطيع عن طريق الملاحظة أن يجمع الحقائق التي تساعده على تبين المشكلة عن طريق إستخدامه لحواس السمع والبصر والشم والشعور (اللمس) والتذوق .

فالباحث إذن يستند الى الملاحظة من بداية البحث حتى يصل الى التأييد أو الرفض النهائي للحل المقترح للمشكلة التي يدور حولها البحث ، محاولة منه للوصول الى الحقيقة .

وإذا نظرنا الى الملاحظة في ضوء مناهج البحث العلمي المختلفة نجدها وسيلة فعالة لجمع البيانات في جميع هذه المناهج وخطوة أساسية من خطواتها أو على الأقل أنها مرتبطة بخطوة أساسية من خطواتها ، وهي خطوة جمع البيانات التي لاغنى عنها في أي منهج من مناهج البحث العلمي في المجالات الطبيعية والمجالات الإجتماعية على السواء .

أنواع الملاحظة :

١ – الملاحظة البسيطة :

تعتمد الملاحظة البسيطة المباشرة في العلوم النفسية والإجتماعية على نزول الباحث ومساعدوه الى المجتمع لمشاهدة أفراده وجمع البيانات الكافية لوصف الجماعة وأوجه نشاطها المختلفة ووصف الظواهر الإجتماعية ، إعتماداً على مايرى الباحث ويسمع ، دون تدخل من القائم بالملاحظة ، ودون مشاركة منه في أي نشاط للجماعة ودون إستخدام آلات ، وهذه هي الملاحظة البسيطة التي لاتخضع للضبط العلمي ، والتي لاتمكن الباحث من الإلمام بجوانب الموضوع إلماماً تاماً .

٢ – الملاحظة المنظمة :

وهي ملاحظة دقيقة وعميقة ومتأنية وموجهة وهادفة ، تربط بين الوقائع ، وتخضع للضبط العلمي ، وتنحصر في موضوعات محددة ، وهي لها صلة مباشرة بالموضوع المدروس ، تعتمد على إعداد خطة مسبقة لإجراء الملاحظة ، وتسجيل المشاهدات وجمع البيانات ، وتمتاز بقدر من الصحة والثقة ، وقد يلجأ الملاحظ الى إستخدام الأجهزة العلمية ، وأدوات التصوير والرصد والقياس ، والوسائل السمعية والبصرية ، بالإضافة الى كتابة المذكرات .

٣ – الملاحظة بالمشاركة :

وهي أن يقوم الباحث بالمشاركة في الظاهرة المدروسة مع الأفراد المبحوثين ، من غير أن يعرفوا بأنهم موضع ملاحظة الباحث ، من خلال إنتمائه لهم وتصرفه مثل مايتصرفون مراعياً عدم كشف هويته حتى يتم دراسة تفاعلات الأفراد نحو تلك الظاهرة بصورة طبيعية .

<u>أدوات الملاحظة :</u>

يستعين الباحث بأدوات معينة من أجل جمع البيانات المطلوبة من المبحوثين بصورة دقيقة ، ومن هذه الدوات :

١ – المذكرات التفصيلية ، بقصد فهم السلوك الملاحظ وإدراك العلاقات بين جوانبه ، كما يمكن الإستعانة بها في دراسة سلوكيات مشابهة .

٢ – الصور الفوتغرافية ، بقصد تحديد جوانب السلوك الملاحظ كما يبدو في صورته الحقيقية لا كما يبدو أمام الباحث .

٣ – الخرائط ، بقصد توضيح أمور مثل : توزيع السكان ، وتوزيع المؤسسات الإجتماعية في المجتمع ، وأماكن تواجد المشكلات الإجتماعية في البيئات الجغرافية.

٤ – إستمارات البحث ، بهدف إستيفاء البيانات المطلوبة عن العناصر الرئيسة والفرعية للسلوك الملاحظ دون غيرها بطريقة موحدة .

٥ – نظام الفئات ، بهدف وصف السلوك الملاحظ بصورة كمية .

كيف نميز الملاحظة العلمية من الملاحظة العابرة ؟

يمكننا ان نميز الملاحظة العلمية من الملاحظة العابرة بأنها :

١ – هي ملاحظة موجهة يهدف الباحث منها الى متابعة أحداث معينة أو التركيز على أبعاد محددة دون غيرها .

٢ – ملاحظة مقننة ، لاتسير بالصدفة وإنما يتبع الباحث فيها إجراءات معينة معتمدة .

٣ – ملاحظة هادفة ، ترمي الى تسجيل معلومات بالذات بطريقة منظمة .

٤ – لايكتفي الإنسان فيها بالإعتماد على حواسه ، وإنما يستعين بأدوات تزيد من فاعليتها ودقتها.

مميزات الملاحظة :ـ

١ – أنها تُمكن الباحث من تسجيل السلوك الملاحظ وقت حدوثه مباشرة . وبذلك يقل فيها الإعتماد على الذاكرة وتسلم من تحريف الذاكرة .

٢ – أن كثيراً من الموضوعات مثل العادات الإجتماعية ، وطرق التعامل بين الناس وطرق تربية الأطفال ، يكون من الأفضل ملاحظتها إذا أُريد الكشف عن خصائصها .

٣ – أنها تعكس مختلف التأثيرات التي تُصاحب وقوع السلوك بصورة حية .

٤ – أنها لاتتطلب من الأشخاص موضع الملاحظة أن يقرروا شيئاً ، وهم في الكثير من الأحيان قد لايعلمون أنهم موضع الملاحظة ، وبذلك تتخلص الملاحظة من عيوب المقابلات أو الإختبارات أو التجارب التي قد يتردد الناس في الإسهام فيها أو في الإجابة عن أسئلتها ، أو قد يضيقون بها ولايجدون لها متسعاً من الوقت .

٥ – أنها تمكننا من الحصول على معلومات وبيانات حول سلوك من لايستطيعون التعبير عن أنفسهم قولاً أو كتابة ، وذلك كالأطفال والبكم ، وكالحيوانات التي قد يهم الباحث أن يعرف شيئاً عن سلوكها .

٦ – أنها اداة صالحة لتقويم فعالية العملية التربوية في تحقيق الأهداف والغايات المرسومة لها .

عيوب الملاحظة :ـ

١ – يصعب في حالات كثيرة أن يتنبأ الباحث مقدماً بوقوع حادث معين ، وحتى في حالة وقوعه قد تتطلب ملاحظته عناءاً وجهداً ، فالباحث الذي يُريد أن يدرس عادات القرويين في حالات الزواج أو الوفاة أو سلوكهم في أوقات الكوارث (الفيضانات والسيول والحرائق وظهور الأمراض المعدية وما الى ذلك) قد يضطر الى الإنتظار فترة غير محددة ، أو قد تقع الحادثة في فترة قصيرة جداً يصعب عليه ملاحظتها .

٢ – أن هناك بعض الموضوعات يصعب أو يتعذر ملاحظتها ، كما هي الحال في الخلافات العائلية (التي لاتكون عادة مفتوحة لملاحظ خارجي) ، وقد يكون من الأسهل في هذه الحالات الإلتجاء الى الأدوات الأخرى مثل المقابلة .

٣ – لايمكن ملاحظة أشياء حدثت في الماضي .

٤ – كثيراً ما يغفل الملاحظ عن ملاحظة بعض التفاصيل الجوهرية ويوجه عنايته الى بعض التفاصيل الأخرى التي لاتدل على الصفات الذاتية للأشياء .

٥ – إن إدراك الملاحظ للأشياء والظواهر التي يلاحظها عرضة للتحريفات والتشويه ، وذلك بسبب تحكيمه لخبراته السابقة وإهتماماته الشخصية (تحيز الباحث) ، وبسبب إنفعالاته ودوافعه وتعصباته وتقييمه للظاهرة موضع الملاحظة .